أثر اللسان على الإنسان

الكاتب : عبد العزيز بن محمد الحمدان

التاريخ : 29 يوليو 2017 م

المشاهدات : 6144

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمن جملة النعم التي امتن الله بها على الإنسان، نعمة النطق والبيان، قال الله عز وجل: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [البلد:8-9]، وقال جل ذكره: {خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن:3-4]، فاللسان هو الأداة التي يظهر بها البيان والشاهد الذي يخبر عما في الجنان، فاللسان من صغر حجمه، هو الواسطة للخير العظيم، كما أنه سبب الشر الجسيم، وهل يتضح الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والخير من الشر إلا بواسطته؟ فهو ترجمان القلب، والمسيطر على أعضاء المرء، فترى الأعضاء كلها تلقي إليه قيادها، وتعترف له بأن صلاحها بصلاحه، وطلحها بطلحه.

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإن نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"، فنطق اللسان يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان، فاللسان من أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً، وأكثرها فساداً وعدواناً. قال مالك بن دينار رحمه الله: "إذا رأيت قساوة في قلبك ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك".

وما من معصية إلا وللسان فيها عمل، فمن أهمله ولم يلق لعمله بالاً، ينطق بما شاء، ويتكلم بما أراد من البهتان سلك به في ميدان الزلل والخطايا، وما ينجى من شره إلا أن يُقيده بأمر الشرع. فليفكر المرء فيما يريد أن يقوله، فإذا رأى فيه الخير تكلم وإلا سكت، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".

ومن حكمة الله أن جعل اللسان عضواً لحمياً لا عظم فيه ولا عصب، لتسهل حركته ولا تجد في الأعضاء من يكترث بكثرة الحركة سواه، فإن أي عضو من الأعضاء إذا حركته كما تحرك اللسان لم يُطق ذلك، ولم يلبس أن يكل ويخلد إلى السكون إلا اللسان، فلو كان فيه عظام لم يتهيأ منه ذلك، ولم يحصل منه الكلام التام، ولا الذوق التام، فكونه الله جل وتقدس كما اقتضاه سبحانه وتعالى السبب الفاعل. نعمة ما أعظمها علينا.

ولما كان اللسان سارحاً في ميادين لا حد لها، ولما كان سلطانه كبيراً وضرره عظيماً، كان العلماء والصالحون من هذه

الأمة يخشون عاقبة اللسان، ويفزعون من موارده المُهلكة، فأبو بكر رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد"، وعند الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان على الصفا يُلبي ويقول: "باللسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم"، ومن كلام عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: "القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره"، وقيل لبعض الحكماء: "كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، وقد وجدت خصلة إنْ استعملها الإنسان سترت العيوب كلها، قال: وما هي؟ قال: حفظ اللسان".

فتأمل أيها الموفق حال كثير من الناس اليوم فيما يقضون أوقاتهم؟ ويشغلون فراغهم؟ لو تأملت هذا الأمر لرأيت ما يُذهل ويُروع من لغو الحديث، وخوض في باطل، وتتبع عورات، وتندر بالناس، وانتقاص وسخرية!!!، وغير ذلك كثير. ومن أخطر ما انشغلت به الكافة من صنوف اللغو الكذب والغيبة والنميمة، وشهادة الزور، والسباب والشتم واللعن والقذف، بل إن من الناس من يعيش صفيق الوجه، شرس الطبع لا تحجزه مروءة، ولا يمنعه دين ولا أدب، قد سخر لسانه مقراضاً لأعراض المسلمين، بكلمات تنضح فحشاً وألفاظ تنهش نهشاً، يُسرف في التجني واللمز، فهذا طويل، وذاك قصير، وهذا أحمق وذاك جاهل، وكأنه قد وُكل إليه تجريح عباد الله. أَوَلا يعلم أن الله تعالى يقول: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات:11]، ويقول: {وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات:12]، أَوَلا يعلم أن الله تعالى يقول: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:18].

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: "وتلا هذه الآية {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق:17]، يا ابن آدم بُسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك، فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طُويت صفحتك، وجُعلت في عنقك معك في قبرك، تخرج يوم القيامة {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ} [الإسراء:13]، ويزداد الأمر وتعظم المصيبة حين ترى من عليه سمات الوقار والصلاح، وملامح الهدوء والاحتشام وهو يسفر من بداء وثرثرة ويخوض في لغو وباطل، ليس هذا سمت الصالحين ولا أمارة الطائعين، ولا صفات المؤمنين، فاربأ بنفسك عن دنايا القول وفحش الكلام، واردع نفسك عن تضييع العمر في غير ما خُلق لأجله، واحفظ وصية نبيك صلى الله عليه وسلم إذ قال: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه؛ أضمن له الجنة". أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

على الرغم من إيجاز هذا الحديث فهو وصية جامعة ثمينة من أبلغ الوصايا وأقيمها، اشتمل على الأمر بحفظ عضوين وتعاهدهما بالرعاية والاستقامة والرقابة والصيانة وهما (اللسان – الفرج)، فإذا أُطلق سراحهما في المتع والشهوات، والفتن والملذات، وطرق الغي والفساد كانا أصل البلاء والهلاك، فاستنصر – نور الله قلبك – مواقع الكلام واحفظ اللسان من الفضول والهذيان، وإن زلة من زلات المرء بلسانه قد تؤدي به إلى الهلاك والعطب، فاستعمل لسانك في الخير والصلاح وكل كلام تتكلم به فهو إما لكل وإما عليك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه" أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي حسن صحيح، والله عز وجل أمر بالكلام الطيب الحسن فقال سبحانه: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء:53]، وقال جل ذكره: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} [البقرة:83]. فاستعمل لسانك في النطق بالكلام الحسن، واحذر ألاعيب الشيطان فإنه يدفع الإنسان إلى الكلمة النابية ليثير بها العداوة، ويفرق الشمل، ويقطع الحبل الجامع.

عليك بالكلمة الطيبة فإنها تزيل سخائم النفوس وتنمي العلاقات، وتضمد الجراح، وتبعث في الوشائج حياةً وقوة وصلة ورحمة، وتطرد الشيطان فلا تجعل له منفذاً إلى قلبك، إننا مطالبون أن نزن أقوالنا قبل أن تتجاوز الشفتين، فربنا لا يقبل منا إلا أفضل الكلام وأزكاه، وأحسن القول وأعلاه، قال تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [البقرة:83]، فهذه الآية صريحة إلى أن كلام الإنسان عليه وليس له، إلا ما كان في هذا ونحوه، فالخير والسلامة في حفظ اللسان، فلا يذهب الرشد إلا مع كثرة الكلام والثرثرة، وإذا لم يملك الإنسان نفسه كان فمه مدخلاً لكل ما يُعاب، فتتلوث بذلك سيرته، وتفسد سريرته، وجاء يوم القيامة مفلساً.

موقع المسلم

المصادر: